تجلّيات الاقتباس في فنّ المقامة الجزائريّ في القرن السّادس للهجرة
-ابن محرز الوهراني أنموذجا-

Reflections of the quote in the Algerian art of the Maqamah in the sixth century of the Hegira
-Ibn Mehrez Al-Wahrani as a model-

أ. يوسف جقاوة ♣

إشراف أ. د. عاشور سرقمة♣

تاريخ الاستلام: 03-03-2021 تاريخ القبول: 02-12-2021

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى استجلاء ظاهرة الاقتباس البلاغيّة في كتابات ابن محرز الوهراني وكذا البحث عن أصول هذه الاقتباسات ومصادرها الأولى ودراسة أثرها في سياقات استعمالها في مقامات ومنامات ورسائل هذا الأخير.

ومن خلال هذه الدّراسة استنتجنا ما يلي: لقد تجلت ظاهرة الاقتباس في كتابات ابن محرز وقد تنوّعت هذه الاقتباسات بتنوّع مقام التّلفظ فنجده اقتبسَ من القرآن الكريم، ومن السّنة النّبويّة، ومن الشّعر العربي الجاهلي، والإسلامي وحتى من الأمثال والحكم كما أنّه اعترف باستخدامه لكلام غيره لغاية في نفسه يعرفها.

كلمات مفتاحيّة: تجلّيات، اقتباس، مقامة جزائريّة، القرن السّادس للهجرة، ابن محرز الوهراني.

Abstract : This research aims to elucidate the phenomenon of rhetorical quotation in the writings of Ibn Mehrez al-Wahrani as well as to search for the origins of these quotations and their

♣ جامعة غرداية، الجزائر، البريد الإلكتروني: y.d.sebseb@gmail.com (المؤلّف المرسل).

♣ جامعة غرداية، الجزائر، البريد الإلكتروني: sergmaachour@yahoo.

early sources, and to study their impact on the contexts of their use in the shrines, dreams and messages of the latter.

Through this study we concluded the following: The phenomenon of quotation was evident in the writings of Ibn Mehrez, and these quotations varied in a variety of pronunciations. Himself knows it.

Key words: manifestations, a quote, an Algerian maqamat the sixth century of the Hijra, Ibn Mahrez al-Wahrani.

1. مقدّمة: ظهر في العصر العباسي جنس أدبي نثري كان وليد متغيّرات ثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة وقد سمّي فنّ المقامة، ويجمع هذا الفنّ بين فنّيّات الكلام اللفظيّة وصور الواقع الموحيّة وسلاسة البلغاء وطلاقتهم اللسانيّة، تطوّر هذا الفن بسرعة ثم ما فتئ يصبح أروع أنواع النّثر وأجملها فنيّة وبيانا وذلك لما فيه من أذواق لفظيّة تطرب لها الآذان وتتشوّق لسماعها الأنفس، ويرى أغلب النّقاد أنّ بدايات هذا الفنّ يرجع لعلمين أدبيّين من الكتاب الكبار هما بديع الزّمان الهمذاني (358هـ/395هـ) والحريري (446هـ/516هـ) وقد كتب على منوال هذين الأديبين أديب مغاربي بل وبرع في نسج المقامات وكتابة الرّسائل بقالبها وأسلوبها الشّيق، وهو ابن محرز الوهراني (ت575هـ/1179م) الذي يكاد أن يكون مجهولا لدى جمهرة المتأدّبين وحتى المختصّون في تاريخ الأدب لا يعرفون عنه إلاّ الشّيء القليل، لأنّ ما وصل إلينا من آثار هذا الأديب زهيد مقارنة بأدباء آخرين. جمع الكاتبان إبراهيم شعلان ومحمّد نغش مقامات ومنامات ورسائل (مكتوبة بنسق فن المقامة) لابن محرز الوهراني في دليل قاطع على أنّ المقامة المغاربيّة وتحديدا الجزائريّة منها قد حوت كل صفات نظيرتها المشرقيّة رغم اختلاف البيئات والمقامات. لقد بالغ كتّاب فن المقامة أيّما مبالغة وتفننوا أيّما تفنّن في استعمال ما استطاعوا من ألوان فنّ البديع سواء اللفظيّة أم المعنويّة وخاصّة استعمال الاقتباس وهذا طبعا شيء مبرر وذلك لما يحتويه من تيمات ودلالات تخدم اللفظ والمعنى على حد سواء الأمر الذي سنوضحه من خلال هذه الدّراسة التي سنحاول من خلالها تبيين تجلي الاقتباس في المقامة الجزائريّة ممثّلة في كتابات الأديب ابن محرز الوهراني من خلال أحدى مناماته **(وكتب كتابا وفيه المنام)** كأنموذج فقط معتمدين على الوصف كمنهج والتّحليل والمقارنة كإجراءين مساعدين. وستتمحور إشكاليّة هذه الدّراسة فيما يلي:

أين يتجلّى استعمال الاقتباس في مقامات ابن محرز الوهراني ومناماته ورسائله...؟

وستتفرّع عن هذه الإشكاليّة إشكالات أخرى هي:

- **ما هي مصادر هذه الاقتباسات الأولى...؟**
- **ما هي أنواع الاقتباسات التي وظفها الوهراني...؟**
- **لماذا وظف الوهراني هذه الاقتباسات .....؟**
- **ما هو أثر هذه الاقتباسات في السّياق والمعنى...؟**
- **هل أثّرت ثقافة الوهراني الإسلاميّة على أسلوبه في توظيف الاقتباس في كتاباته...؟**

ولا بأس أن نعرف بفن المقامة وبالاقتباس كذلك قبل الولوج إلى صلب الدّراسة فنقول:

2. تعريف المقامة (المعنى اللغوي والاصطلاحي): إنّ تعاريف المقامة عديدة حيث أنها تختلف في التّعبير ولكنّها تتفق في المضمون ويمكن أن نصوغ مفهوما شاملا لها من حيث: أنّها حكاية قصيرة، قد تكون طويلة أو قصيرة بحيث تلقى في مجلس واحد، وأسلوبها متصنع في البيان والبديع، وتشمل عظات أو ملح أو نوادر يشوبها عنصر المغامرة، وتنتهي عادة بمفاجأة غير متوقّعة ولها راو، وبطل يعتمد على الحيلة ووسائل الخداع والتّلون، ليحقّق غرضه وهو الكديّة (الشّحاذة غالبًا). ورد في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي: "وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنّها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من النّاس لسماعها" [1].

لقد أخذ مدلول اللفظة يتطوّر مع الزّمن فصارت المقامة بمعنى العظة والخطبة الأخلاقيّة ينشدها الرّجل بين يدي الخليفة والأمير، فقد عقد ابن قتيبة في عيون الأخبار فصلا سماه: "مقامات الزّهّاد عند الخلفاء والملوك.[2] إنّ أغلب الذين تناولوا فن المقامة، وتحدّثوا عن نشأته وتطوّره، كان تركيزهم الأساسي في تحديد المعنى اللغوي للكلمة في معاجم اللغة، فلقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ق.و.م)[3] "والتي منها أخذت كلمة مقامة لتدل على المجلس أو الجماعة من النّاس"، "فكلمة مقامة لها معنيان في لسان العرب المجلس والجماعة من النّاس" وبذلك نجد عند

العودة إلى بعض الشّواهد من الأدب العربي، قد استعملها مالك بن حريم الهمداني بمعنى المجلس في قوله: وأقبل إخوان الصّفاء فأوضعوا** إلى كل أحوى في المقامة أَفْرَعَا.

فالمقامة في هذا الشّاهد "يجب أن تدل على المجلس أو النّادي لأنّ سياق الكلام في البيت يدل على ذلك، فإخوان الصّفا يسارعون في المجلس إلى كل شاب أسود الشّعر طويله، فكأن شيب الشّاعر زهّد فيه أعزّ إخوانه ورغّب عنه أوفى أصدقائه"[4]

وفي نفس المعنى استعملها المسيّب بن علس[5]:

وكالمسك تُرْبُ مقاماتهم: وترب قبورهم أطيب: إنّ استعمال كلمة تُرْب في الــبيت، تدل على المكــان ويؤكّد ذلك "أنّه جعلها في مقابل قبورهم، حيث أنّ قبورهم هي الأماكن التي يحلّون فيها بعد وفاتهم و(مقاماتهم) هي الأماكن التي نَزَلوها في حياتهم، وأقاموا أو قاموا بها"[6].

بينما لو نذهب إلى زهير بن أبي سلمى، نجده استعمل كلمة المقامات للدلالة على الجماعة من النّاس.

ذلك في قوله: **وفيهم مقامات حسان وجوههم: وأنديّة ينتابها القول والفعل 7:** وأراد بالمقامات أهله لذلك قال: حسان وجوههم.

جاء ذلك في معرض مدحه للرجلين اللذين تدخلا بمالهما وحكمتهما بين قبيلتي عبس وذبيان، فأوقفا الحرب المندلعة بينهما "حرب داحس والغبراء" والتي دامت أربعين سنة كما قال المؤرّخون. وكلمة مقامات في الشّاهد "تعني الجماعات التي تحضر الأنديّة والمراد الإشادة والمديح بأنّ هؤلاء القوم جماعات حسنة وجوههم، يجتمعون في أنديّة ليست مقصورة على الكلام فقط، وإنّما تضم الكلام والفعل، أي أنّهم أناس أو رهط لا يكتفون بالقول ما لم يكن مقرونا به العمل."[8]

أمّا لبيد فقد استعملها للدلالة على الجماعة من النّاس في قوله: **ومقامة غلب الرّقاب كأنّهم :جن لدى باب الحصير قيام:** ولفظة (مقامة) التي جاءت هنا منفردة تدل على جماعة من النّاس، بدليل كلمة الرّقاب من جهة وتشبيههم بالجن وهم قائمون على باب الأمير من جهة ثانيّة.

وقد وردت كلمة (المُقامة) بالضّم كذلك للدلالة على محل الإقامة، "جاء في لسان العرب قول "لبيد:

عفت الدّيار محلّها فمقامها: بمنى تأبّد غولها فرجامها يعني الإقامة"[9]

ومعنى الشّطر الأول: "عفت الدّيار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها للإقامة"[10].

لقد تطوّر مدلول اللفظة من الدّلالة على المجلس أو الجماعة من النّاس، للدلالة على "العظة والخطبة الأخلاقيّة ينشدها الرّجل بين يدي الخليفة والأمير وقد عقد بن قتيبة في هذا الصّدد في كتابه "عيون الأخبار" فصلا سماه مقامات الزّهاد عند الخلفاء والملوك".[11] وفي نفس هذا المعنى جاء استعمال اللفظة عند بديع الزّمان الهمذاني نفسه في المقامة الوعظيّة "قال عيسى بن هشام فقلت لبعض الحاضرين من هذا قال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه فاصبر عليه إلى آخر مقامته، لعله ينبئ بعلامته"[12]. وحرص أصحاب هذه الخطب والمواعظ كل الحرص أن يسعوا جاهدين للتأثير في مستمعيهم، فاعتمدوا لذلك لغة رشيقة، وعبارة أدبيّة أنيقة تطرب السّمع وتنبه الفكر. "ثم انحرف معنى المقامة وتدنى إلى الدّلالة على كلام الشّحّاذين الذين اضطروا في توسّلهم بادعاءات توجيهيّة أن يستعملوا لفة مختارة منمقة، ذلك أن الثّقافة الأدبيّة التي كانت فيما سلف من مميزات البلاطات وروادها أخذت في الانتشار بين طبقات الشّعب."[13] إلى أن جاء القرن الرّابع الهجري وفيه أصبحت المقامة تدل على تلك القطعة الأدبيّة التي تتضمن حادثة يرويها راو، بأسلوب أدبي يعتمد الألفاظ الغريبة والجمل المسجوعة، والخيال الكثير، ودخلت المقامة" دائرة المصطلحات الأدبيّة لتدل على ضرب من السّرد يسند إلى راو، يحكي عن بطل مكدّ يتشكل من مجموع أفعاله وأقواله–سواء تدخل الرّاوي أم لم يتدخل–ومتن الحكاية التي يحملها خطاب المقامة"[14]. "والمقامة الفنيّة قصة قصيرة بطلها أنموذج إنساني مكدّ متسوّل، لها راو وبطل وتقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبيّة، أو مسألة دينيّة، أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لونا من ألوان النّقد، أو الثّورة أو السّخريّة، وضعت في إطار من الصّنعة اللفظيّة والبلاغة. "[15]

ويرى بعضهم أنّ "المقامة حديث قصير من نسج الخيال أو دوّامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع مسجوع تدور حول بطل أديب شحاذ، يُحَدث عنه وينشر طوّته راويّة جوّالة قد يلبس جبة البطل أحيانا، وغرض المقامة هو إظهار الاقتدار على مذاهب الكلام، وموارده، ومصادره، في عظة بليغة تقلقل الدّراهم في أكياسها أو نكتة أدبيّة طريفة أو نادرة لغويّة لطيفة، أو شاردة لفظيّة طفيفة. "[16]

كل التّعاريف السّابقة لم تحدد تعريفا موحدا لفن المقامة إلاّ أنّها جميعها اتفقت أنّ للمقامة راويا بطلا وأحداثا لابد لها من مكان وزمان، وتلك مقومات تجعل بعض المقامات قريبة من القصة، فقد " برزت حبكة الأحداث في عدد من المقامات لا سيما في مجموعة الهمذاني، إلى درجة أنّها قربت في سياقها وتسلسلها، والإثارة من الأقصوصة. "[17]، أنّ القول الذي يعتبر المقامة قصّة فيه غلو ومبالغة صراحة، إذا راعينا مقاييس النّقّاد المحدثين في تعاريفهم للقصّة، وما يفرق ويبعد عنها صفة القصّة الفنيّة، هو أسلوبها المتصنّع المتكلّف فـ" ليست المقامة إذن قصّة وإنّما هي حديث أدبي بليغ، وهي أدني إلى الحيلة منها إلى القصّة، فليس فيها من القصّة إلاّ الظاهر فقط، أمّا هي في حقيقتها فحيلة يعرفنا بها بديع الزّمان وغيره لنطّلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة ثانيّة على أساليب أنيقة ممتازة. " [18].

1.2 المقامة في الأدب الجزائريّ: "إنّ تأثير مقامات البديع، لم يقتصر فقط على أدباء وعلماء المشرق فحسب، بل تعدّاه إلى التّأثير في أدباء المغرب والأندلس والتّاريخ يثبت أنّ أدباء المغرب تأثروا كثيرا بأدباء المشرق، سواء في أغراض الشّعر أم في فنون النّثر الذي سار فيه المغاربة على خطى المشارقة، إذ اتخذوا من أساليب أدباء المشرق نماذج ينسجون على منوالها." [19] ولما كان فن المقامة فنا جديدا وفتحا بزغ نوره للخاص والعام فقد أقبل عليه الأندلسيون والمغاربة إقبالا كبيرا وهذا أمر طبيعي "فلم يكن من الجائز أن تغفل عيونهم ذلك الفن المقامي الذي ملأ الحياة الأدبيّة في المشرق."[20] وقد اشتهر بهذا الفن: ابن شرف والسّرقسطي، والوهراني وغيرهم.

وعلى غرار كل الآداب فإنّ الأدب الجزائري قد لحقه ما لحق الأدب العربي عموما والمغربي خصوصا من تأثير خاصّة فيما يتعلّق بفن المقامات فـ"قد أسهم

الجزائريون في هذا الميدان (يعني فن المقامات) ولعلّ أشهر من أسهم فيه منهم قبل العثمانيين الوهراني صاحب المقامات والمنامات، أمّا في فترة العثمانيين فقد ضعف الأدب وانتشرت ظاهرة الصّوفيّة، واضطربت الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة، ثم إنّ أوّل ما يلفت الانتباه في العهد العثماني هو أنّ الأدب القصصي لم ينتشر انتشارا واسعا فالفنون ذات الطّابع القصصي تكاد تنعدم في مؤلفات هذا العهد ما عدا ما نجده من إشارات إلى بعض الحكايات الشّعبيّة التي كانت تروى في كثير من الأحيان شفاهة بغرض التّسليّة وتؤدّى بطريقة استعراضيّة من قبل شخص، وبعد الانتهاء من أداء هذا الدّور تجمع التّبرعات الماليّة"[21]ومن أبرز مواضيعها كذلك كرامات الأولياء وما يحاك حولها من خيال ويضاف إليها من أحداث حيث أنّها تعدّ من أبرز الأشكال ذات الطّابع القصصي التي انتشرت بين النّاس في هذا العهد خاصّة مع انتشار وتمكّن الصّوفيّة في النّفوس وسيطرتها على العقول. "وفيما يتعلق بفن المقامات فيبدو أنّ الأدباء الجزائريّين في العهد العثماني لم يهملوا هذا الفن، بل أقبلوا عليه وألّفوا فيه، يشهد على ذلك ما نجده من مقامات لشخصيات أدبيّة ودينيّة معروفة، فلأحمد بن ساسي البوني مقامة ذات طابع سياسي تحدّث فيها عن العلاقة بين العلماء والسّلطة وانتشار ظاهرة الوشاية بين أهل العصر وجاءت هذه المقامة تحت عنوان (أعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار)."[22]

يمكننا من خلال تتبع مقامة البوني هذه أن نصل إلى بعض ملامح المقامة العثمانيّة من حيث:

- أنّها تناولت واقعا سقطت منه الكديّة والحيلة، والخطاب فيها كان موجها لفئة محدّدة (أيّها العلماء الفضلاء النّبلاء) ومن الكاتب نفسه، وذلك يعني افتقادها للشخصيتين الخياليتين اللتين تمثلان البطل والرّاوي في مقامات بديع الزّمان الهمذاني؛

- أنّ الهدف منها وصف حالة، وتشخيص داء، سعيا للبحث له عن دواء، وهي بذلك تضعنا أمام عصر مال فيه الكثيرون إلى العزف على وتر الدّين الذي اتخذوه وسيلة لتحقيق مآرب، هي في كثير من الأحيان التّقرب إلى السّلطة؛

- أنّنا نجد الكاتب افتتح مقامته بقوله (الحمد لله الذي جعل المصائب وسيلة لمغفرة الذّنوب) وهي افتتاحيّة بعيدة كل البعد عن افتتاحيّة المقامة التّقليديّة ممثلة في مقامات البديع، التي عادة ما تفتتح بـ (حدثنا عيسى بن هشام)، وذلك يجعل مقامة البوني أقرب إلى الخطبة والرّسالة وهي في ذلك شبيهة بكثير من مقامات المغرب والأندلس والتي "أصبحت صورة من رسالة يقدمها شخص بين يدي أمر يرجوه، أو أمل يجب تحقيقه"[23]. ومن الذين ألّفوا في فن المقامة في العهد العثماني ابن حمادوش الذي ضمّن رحلته ثلاث مقامات، يمكن اعتبارها أنموذجا لهذا الفن في الأدب الجزائري في الفترة العثمانيّة، ورغم أنّ الرّجل كان إلى العلم أقرب منه إلى الأدب، إلاّ أنّ مقاماته توحي بمقدرة أدبيّة كامنة فيه وأهم كتاباته في هذا الصّدد المقامة الهركليّة.

وإذا حاولنا الرّبط بين هذه المقامة (الهركليّة) والمقامة السّابقة (أعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار) نجدهما تتشاكلان معا خاصّة من حيث مراسيم افتتاحيتهما وهي مراسيم افتتاح الخطبة والرّسالة، إلاّ أنّ هناك فرق شاسع بين المقامتين من عدّة وجوه، فمقامة ابن حمادوش نجد فيها تتمة الرّحلة، التي اختفت في مقامة البوني إلاّ أنّه يجب التّنويه هنا إلى أن هذه الرّحلة معلومة البداية ومعلومة النّهاية، عكس الرّحلة في مقامات بديع الزّمان التي لا نهاية لها إذ فيها "لا يكون الوصول إلاّ للانطلاق من جديد"[24] وعلى عادة المقامات البديعيّة فقد ختمت هذه المقامة بأبيات من الشّعر، وانطلاقا ممّا سبق يبدو واضحا "أنّ مقامات ابن حمادوش من الوجهة الفنيّة المحضة تعتبر أكمل وأفضل، إذ لا ينقصها عنصر الحكاية ولا الخيال ولا طرافة الموضوع ولا الرّمز".[25] ومن الكتاب الجزائريين الذين أسهموا في فن المقامات في العهد العثماني الكاتب محمّد بن ميمون الجزائري الذي اتخذ فن المقامة لكتابة السّيرة، والذي اعتبره الدّكتور سعد الله "أظهر كاتب استعمل المقامة في ترجمته لمحمّد بكداش" [26]في كتابه المعروف بالتّحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، ويبدو التّوجه التّاريخي للكاتب واضحا إضافة إلى الملامح الأدبيّة ما يعني أنّ الكاتب زاوج بين التّاريخ والأدب وهذا الجمع ربّما يعتبر اليوم من أهم القضايا التي يعكف عليها النّقاد والباحثون(علاقة الأدب بالتّاريخ) وهذا دليل على قيمة الكتاب وثقله الأدبي والعلمي. هذه بعض اللمحات الزّمنيّة لفن المقامات **منذ ظهورها كجنس أدبي عربي**

خالصّ على يد الهمذاني والحريري من حذا حذوهم وسار على نهجهم حتى اشتد عود هذا الفن واصطبغ بالصّبغة العالميّة انطلاقا من بلاد فارس ثم أوربا وأمريكا وشمال إفريقيا.

3. الاقتباس واشتقاقاته.

1.3 تعريف الاقتباس لغة: جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي في مادة (ق، ب، س): القبس محركة " شعلة نار تقتبس من معظم النّار، كالمقياس، وقبس يقبس منه نارا، واقتبسها: أخذها، والعلم: استفاده، واقتبس أخذ من معظم النّار".[27]

وقال بن فارس في معجمه مقاييس اللغة (قبس) القاف والباء والسّين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النّار، ثم يستعار من ذلك القبس: شعلة النّار قال الله تعالى في قصة موسى عليه السّلام: "لعلي آتيكم منها بقبس"[28]، ويقولون أقبست الرّجل علما، وقبسته نارا.[29] وقال ابن دريد: "قبست من فلان نارًا، واقتبست منه علما، وأقبسني قبسا"[30] وجاء في معجم العين للفراهيدي:" القبس بفتحتين النّار والقبس الشّعلة من النّار والقبس شعلة من نار تقتبسها، أي تؤخذ من معظم النّار، والقبس الجذوة وهي النّار التي تأخذها من طرف العود. ويقال: اقتبس منه نارًا واقتبس منه علمًا وأقبسه فاقتبس"[31] والاقتباس مصدر اقتبس، استعير لطلب العلم والهداية، ومنه قوله تعالى: "انظرونا نقتبس من نوركم"[32]

2.3 تعريف الاقتباس اصطلاحا: "هو أن يضمّن المتكلّم كلامه من شعر أو نثر كلاما لغيره بلفظه أو بمعناه، وهذا الاقتباس يكون من القرآن الكريم أو من أقوال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أو من الأمثال السّائرة، أو من الحكم المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشّعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله.

والاقتباس أحد المحسنات البديعيّة اللفظيّة فمنه ما هو حسن بديع يقوي المتكلّم به كلامه، ويُحْكم به نظامه ولاسيما ما كان منه في الخطب، والمواعظ، وأقوال الحكمة ومقالات الدّعوة والإرشاد ومقالات الإقناع والتّوجيه للفضائل في نفوس المؤمنين بكتاب الله وكلام رسوله. وبعض الأدباء يقتبس من القرآن الكريم أو من أقوال الرّسول مستنصرا بما اقتبس لتقويّة فكرته، أو لتزيين كلامه في أغراض مختلفة كالمدح والهجاء والغزل والإخوانيات ونحو ذلك، فإذا لم يحرّف في المعنى، ولم يكن في

اقتباسه سوء أدب مع كلام الله أو كلام الرّسول فلا بأس باقتباسه وإذا كان في اقتباسه تحريف في المعنى أو سوء أدب فهو ممنوع ويأثم به المقتبس، وقد يصل بعض الاقتباس إلى دركة الكفر والعياذ بالله"[33].

«اشتق البلاغيون من الاقتباس أربعة فروع وهي: التّضمين والعقد والحل والتّلميح.

أ- **التّضمين:** ويسمّى الاستعانة والإيداع والرّفو ومفهومة أن يضمن الشّاعر شعره شيئا من شعر غيره، مع التّنبيه عليه إن كان مشهورا ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قول الحريري:

على أني سأنشد عند بيعي: "**أضاعوني وأي فتى أضاعوا**"

الشّطر الأخير للعرجي، وبيت العرجي هو:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا: ليوم كريهة وسداد ثغر، وقد نبّه الحريري على التّضمين بقوله (سأنشد) بمعنى أنه يكرر كلاما يحفظه فيستعين به في شعره.

ب- **العقد:** وهو أن ينظم الشّاعر نثرا لغيره لا على طريقة الاقتباس[34].

"ومن أمثلة العقد قول أبي العتاهيّة:

مَا بَالُ من أوله نطفة: "**وجيفة آخره يَفْخَرُ**"

عقد أبو العتاهيّة في هذا البيت قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" وما لابن آدم والفخر، وإنّما أوّله نطفة، وآخره جيفةٌ."[35]

أ- **الحل:** وهو أن ينثر الكاتب أو المتكلّم شعرا لغيره، ويكون حسنا إذا كان سبك الحل حسن الموقع، مستقرا غير قلق، وافيا بمعاني الأصل، غير ناقص في الحسن عن سبك أصله، أو أن يكون بمثابة الشّرح لدقائقه، وإلاّ كان عملا غير مقبول في الأعمال الأدبيّة. ومن أمثلة الحل التي ذكرها البلاغيون قول بعض المغاربة، يصف شخصا بأنّه سيء الظنّ، إذ يقيس غيره على نفسه:

"فإنّه لمّا **قبح تفعلاته،** وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء **الظن** يقتاده، و**يصدّق توهّمه** في الذي **يعتادهُ**"

حيث حل بقوله أبي الطّيب المتنبي:

إذا **ساء فعل** المرء ساءت **ظنونه:** و**صَدق** ما **يعتاده** من **توهُّم**

أي: ما يتوهّمه من أنّ الآخرين أساءوا يصدّق توهّمه فيهم لأنّه يقيسهم على نفسه وما يعتاده من سوء عمل.

أ- **التّلميح:** وهو أن يشير النّاثر أو الشّاعر إلى قصة أو شعر أو نثر دون ذكر ما أشار إليه.

ومنه قول أبي تمام:

لعمرو مع الرّمضاء والنّار تلتظي * أرق وأحضى منك في ساعة الكرب.**

يشير إلى البيت المشهور:

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرّمضاء بالنّار**"[36].

4. تجليات استعمال الاقتباس في فن المقامة الجزائري في القرن السّادس للهجرة ابن محرز الوهراني أنموذجا.

عنوان هذه المقامة في كتاب الوهراني: "**وكتب كتابا وفيه المنام**" وسأسرد مباشرة الاقتباسات التي استخرجتها منها كالآتي:

"**أيا نفحة أهدت إلي تحيّة *** ينم عليها العرف من أم سالم**

مشت في أراك الواديين فنبّت * به كل نشوان المعاطف ناعم**

ألا إنّما أحكي بدمعي ولوعي * بكاء الغوادي وانتحاب الحمائم**"

افتتح الوهراني منامه بهذا الشّاهد المجهول النّسب وقد قال علي بن عبد الله الغزولي الدّمشقي صاحب كتاب ((مطامع الدّور ومنازل السّرور)) بأنه لا يعرف هذه الأبيات أهي للوهراني أم ليست له حتى أن الوهراني باستهلاله الشّعري هذا لم يبرر الغاية من هذا الاستفتاح ونراه مباشرة يسرد منامة بدون إشارة وإيماء إلى المغزي من مقدمته الشّعريّة هاته، ولم ترد هذه الأبيات في الموسوعة الشّعريّة العربيّة لذلك فاحتمال أن يكون الوهراني هو قائلها وارد والله أعلم.

"**فكان الذّ من النّار في عين المقرور**"

هذا القول مثل من الأمثال العربيّة ويضرب عندما تشتد حاجة الإنسان لشيء يستمتع به مثلما يستمتع البردان الذي أصابه القرّ بلفحة النّار.

ذكر الوهراني هذا المثل واصفا حالة خادم جمال الدّين ركن الإسلام وهو يطيعه ويقوم بأمره في

شؤونه العامة والخاصّة.

"**أعذب من الماء البارد في صدر المحرور**"

هذا كذلك قول مقتبس من الأمثال العربيّة ويضرب كذلك عندما تشتد حاجة الإنسان إلى شيء فيه لذة ومتعة، اقتبس الوهراني هذا المثل أيضا في فحوى وصفه لخادم جمال الدّين ركن الإسلام وطريقة خدمته لسيّده فكان طائعا نافعا كما ينفع الماء البارد إطفاء ظمأ العطشان.

"**فإنّه يقال أنّ الفأل مقدّمة الكون**"

هذا قول من الأقوال القديمة المأخوذة بالتّواتر (أبا عن جد) ومثل هذه الأقوال كان يتفوّه بها أصحاب الألباب ممن يعرفون تصاريف الحياة وكيفيّة تمامها.

ذكر الوهراني هذا القول لأنّه كان يتفاءل خيرا بجمال الدّين ركن الإسلام كما يتفاءل النّاس بأمور تسبق أمورا فيها نفع وخير، ومثال ذلك أنّ العرب قديما كانت لما ترى القمر قد اتخذ حلقات في ضوئه تستبشر وتتفاءل خيرا بهطول المطر عمّا قريب فهذا الفأل بداية موسم رعوي خصيب ينبت الزّرع والضّرع.

"**وأهلت لغير الله بدار ابن هلال**"

هذا تلميح مقتبس من الآية 3 من سورة المائدة حيث قال الله تعالى : ﴿حُرِّمَت عَلَيكُمُ ٱلمَيتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحمُ ٱلخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلمُنخَنِقَةُ وَٱلمَوقُوذَةُ وَٱلمُتَرَدِّيَة وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَستَقسِمُواْ بِٱلأَزلَٰمِ ذَٰلِكُم فِسقٌ ٱليَومَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُم فَلَا تَخشَوهُم وَٱخشَونِ ٱليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسلَٰمَ دِينا فَمَنِ ٱضطُرَّ فِي مَخمَصَةٍ غَيرَ مُتَجَانِف لِّإِثم فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيم﴾.

استعمل الوهراني هذا التّلميح في سياق طرح منامه ليوضّح النّيّة الخائبة السّيئة التي تكون بسبب نزغات الشّيطان والعياذ بالله.

"**رماه الدّهر بالحظّ المنقوص**"

هذا اقتباس من الأمثال العربيّة ويضرب هذا للمثل للمرء يشقى في الدّنيا ويكدّ لكن بلا طائل لا فائدة تجنى فيظل شاقيا مدى الدّهر رغم محاولاته الكثيرة فيقال: **فلان رماه الدّهر بالحظّ المنقوص.**

وظّف الوهراني هذا المثل في حديثه عن الرّجل الذي رماه القدر في وادي بردى المليء بالمصاعب والمهالك التي تفتك بكل من عبره أو رماه حظه هناك.

"**يتقلى في حرّ السّعير** "

هذا تضمين أورده الوهراني أخذه من أقوال الأمام الفاضل يزيد الرّقّاشي (ت 120هـ) حيث قال الأخير:"قيام الليل نور للمؤمن يوم القيامة يسعى بين يديه ومن خلفه وصيام النّهار يبعد العبد من **حر السّعير**" ذكر الوهراني هذا الشّاهد ذلك ليبرز صعوبة وادي بردى وحرارة جوّه للعابرين والقوافل التي كانت تكابد في سبيل قطعة.

"**فطلعت روحه إلى التّراق وقيل من راق**"

هذا اقتباس من القرآن الكريم من سورة القيامة قال الله تعالي في الآية 26و27 : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦وَقِيلَ مَن رَاقٍ٢٧وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلفِرَاقُ﴾. أورد الوهراني هذا الشّاهد في المقطع الذي يصل فيه الرّجل في المنام إلى الموت بعدما تهب عليه ريح سموم حارة فترقى روحه إلى صدره يشرف على الموت وهو يكابد العطش.

"**أحر من زبل الحمام** "

هذا اقتباس من الأمثال العربيّة حيث أنّ زبل الحمام كان يضرب به المثل في ارتفاع شدّة حرارته فذهب مثلا ساريا إلى يوم النّاس هذا.

ذكر الوهراني هذا الشّاهد عندما يجد الرّجل العطشان ماء فيشرب منه فيجده حارا جدا مثل زبل الحمام تماما.

"**هي الطّامة الكبرى**": هذا تلميح أخذ من القرآن الكريم من قوله تعالى في سورة النّازعات﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلكُبرَىٰ ٣٤ يَومَ يَتَذَكَّرُ ٱلإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾.

الطّامة الكبرى في هذا الشّاهد القرآني هي يوم القيامة وأهوالها ذكر الوهراني هذا السّياق ليوضّح عظم مصاب هذا العطشان بعد ما وجد ماء لكنّه حار جدا لا يسمن ولا يغني من جوع فاشتد ظمؤه وعظمت بليّة ودني أجله.

"**الله يطوي بساط البعد عن كتب: حتى يرى الشّمل منهم وهو مأهول**"

هذا البيت لأمرئ القيس اقتبسه الوهراني من أشعاره ليبيّن شوقه وحنينه إلى لمّ شمله بأحبابه الغائبين والاجتماع بهم بعد هذا الفراق الطّويل الذي لاقاه من أسفاره الطّويلة عبر البلدان والمماليك والعواصم.

"**بين الحشى والتّرائب**": هذا اقتباس وتلميح من القرآن الكريم أخذ من سورة الطّارق من قوله تعالي في الآية 07﴿ يَخرُجُ مِن بَينِ ٱلصُّلبِ وَٱلتَّرَائِبِ ٧﴾.

والتّرائب هي عظام الصّدر استعمل الوهراني هذا القول ليوضح شدة الحقد الذي كان يضمره الرّجل للخادم في المنام الذي رآه الوهراني فأقضّ مضجعه وأفسد عليه نومه.

"**هذا هو اليوم العبوس القمطرير**"

هذا اقتباس من القرآن من سورة الإنسان حيث قال الله تعالى في الآية(10):﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَومًا عَبُوسا قَمطَرِيرا ١٠﴾

في إشارة إلى أحوال أيام الكافرين في النّار والعياذ بالله.

أورد الوهراني هذا الشّاهد لتقويّة معاني منامه وأيّامه العصيبة التي قاساها في وادي بردى وبعد أن كاد العطش يفتك به.

"**يأهل نعمان إلى وجناتكم تعزى الشّقائق لا إلى النّعمان**"

هذا البيت قائله الأبله البغدادي في قصيدة غزليّة يقول في مطلعها:

دعني أكابد لوعتي وأعاني –أين الطّليق من الأسير العاني

وقد اقتبسه الوهراني في منامه ليوضح ملمح البيئيّة التي ينادى فيها على النّاس يوم قيام السّاعة ونعمان هو واد قريب من الفرات على أرض الشّام من الرّحبة ونعمان كذلك معرّة النّعمان وهي المقصودة في هذا الشّاهد.

"**السّماوات تنفطر**"

هذا تلميح من القرآن الكريم إلى سورة الانفطار تحديدا قال الله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَت ١﴾ الآية 01 من سورة الانفطار. وهذا عن أهوال القيامة حيث تتشق السّماء ويختل نظامها.

لمّح الوهراني إلى هذا الشّاهد كي يوضّح كذلك ويشير إلى ما يشاهده النّاس في منامه الغريب هذا من أهوال وأمور تجعلهم في وجل وذعر شديدين.

5. خاتمة: ممّا سبق نستنتج:

– تجلى استخدام واستعمال الوهراني للاقتباس في هذه المقام؛

– تنوّع الاقتباسات في هذه المقامة فنجد أنّه اقتبس:

من القران الكريم؛

من السّنة النّبويّة والحديث الشّريف؛

من الشّعر العربي الجاهلي والإسلامي؛

من الأمثال العربيّة؛

من الحكم المأثورة؛

– طغيان اللفظ القرآني على كتابات الوهراني في هذه المدونة وذلك لتشبّعه بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة؛

– اعتراف الوهراني باستعمال أشعار وأقوال غيره في كلامه بغيّة نيل المراتب والمنازل الحسنة وهذا ما يؤكّده في الصّفحة 156 لما كتب الرّسالة إلى مجد الدّين بن عبد المطلب وزير تقي الدّين بالشّام؛

– إيراد ذكر الأماكن والمدن في كتابات الوهراني وذلك راجع لترحاله الدّائم والطّويل.

6. <u>قائمة المصادر والمراجع:</u>

1. القلقشندي، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1922م ص:110.

2. أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج3، (د ط)،1418ه، ص:323.

3. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّرات العربي، ط2، ج11، 1997م مادة(ق.و.م)، ص:355.

4. عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، (د.ط)،1980م، ص:13-14.

5. ينظر: عمر فروح، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6 1992م، ص:155.

6. هادي حسين حمودي، المقامات من بن فارس إلى الهمذاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985م، ص:15.

7. ديوان زهير بن أبي سلمى، اع وشر: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1426ه 2005م، ص: 50.

8. هادي حسين حمودي، المقامات من بن فارس إلى الهمذاني، ص:14.

9. ابن منظور، لسان العرب، ج11، مادة (ق و م)، ص:355.

10. الزّوزني، شرح المعلقات السّبع، مكتبة المعارف، بيروت، (د ط)، 1983م ص:216.

11. فكتور الكك، بديعات الزّمان، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، (د ط)، 1961م ص:43-44.

12. إكرام فاعور، مقامات بديع الزّمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث بن دريد ص:66

13. فكتور الكك، بديعيات الزّمان، ص:44.

14. عمر عبد الواحد، السّرد والشّفاهة، دراسة في مقامات الهمذاني، دار الهدى للنشر والتّوزيع، ط2، 2003م، ص:17.

15. يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت ط1، 1979م، ص:08.

16. فكتور الكك، بديعيات الزّمان، ص:44.

17. جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2 1984م ص:261.

18. شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط4، 1976م، ص:5.

19. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطّوائف والمرابطين، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط6، 1981م، ص:308.

20. يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، ص:269

21. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج2، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر،(د.ط) 1981م، ص:2015 وما بعدها.

22. نفسه ص:65/64.

23. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرّحلة، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،(د،ط)، (د،ت)،ص:92/91.

24. عبد الفتاح كيليطو، المقامات السّرد والأنساق الثّقافيّة، تر: عبد الكريم الشّرقاوي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1993م، ص:11.

25. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ص:220.

26. نفسه، ص: 217.

27. ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تع: الشّيخ أبو الوفا نصر المصري، را: أنيس محمّد الشّامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة (د.ط)،2008م، مادة (ق ب س)ص:1281.

28. سورة طه، الآية:10.

29. أبو الحسن احمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ج5، (د،ط) (د.ت)، مادة (ق.ب.س) ص:48.

30. ينظر: أبو بكر محمّد بن دريد، جمهرة اللغة، تح الدّكتور رمزي منير بعلبكي ج1، دار العلم للملايين، ط1 1987م، ص:287.

31. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي ج5، دار الرّشيد، بغداد، (د.ط) 1980م مادة (ق.ب.س)، ص:86.

32. سورة الحديد، الآية:13.

33. عبد الرّحمان حسن الميداني، البلاغة العربيّة (أسّسها، وعلومها وفنونها) ج2، دار القلم، دمشق، والدّار الشّاملة بيروت، ط1 1996م، ص:536.

34. ينظر: عبد الرّحمان بن صغير الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثّلاثة الفنون، تح: محمّد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، رقم السّلسة (12)، (د، ط) (د. ت)، ص:46.

35. ورد هذا القول في حكم وأقوال وعظات الإمام علي كرم الله وجهه.

36. ينظر: عبد الرّحمان الميداني، البلاغة العربيّة (أسّسها وعلومها وفنونها) ص: 543/542.